Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسار فى اتجاه آخر. قام بثورة تجديدية ضد الطريق الأول الناجح أو المضمون النجاح، اتجاه نبذ وسائل التصفيق المعتادة ليشق طرقًا جديدة وجادة معًا. ويتساءل الحكيم فى «سجن العمر»: ما الذى جرفنى إلى هذا الاتجاه؟ ما الذى أغرانى بهذا البلاء؟ ما الذى أبعدنى عن أضواء النجاح السهل؟ النجاح البولفارى الجماهيرى؟ لعلها نزعة عندى فى الحياة وفى الفن. حقًا، أرانى أختار أحيانًا الطريق الصعب الذى يتعذر معه النجاح، وأترك الطريق المألوف المعروف المؤدى حتما إلى نجاح مضمون»..

وقد كتب مرة إلى مدير الفرقة القومية وهو الشاعر خليل مطران كتابًا قال له فيه حول نجاح مسرحيته «أهل الكهف»: «أحب أن أثبت كتابة تهنئتى إياك بهذا الفوز المبين. لقد شاهدت رواية الافتتاح فى ليلتها الرابعة، وتبينت أن الأمر أجلّ من أن يكون أمر قصة وفرقة. إنما هو أمر إقرار مذهب من مذاهب التمثيل لم يكن مألوفًا فى مصر والشرق العربى. فلقد كان المعروف لجمهورنا من قبل أن المسارح تؤم للمتعة الرخيصة الزائلة، لا للمتعة العقلية الباقية»..

وقد غرق مع الوقت فى المسرح حتى دأب على مسرحة كل شىء يصادفه. فعندما توفى والده فى المستشفى، نُقل فيما بعد إلى المنزل فى الإسكندرية. فكتب فى ذكرياته عن كيفية دخول الجثمان إلى المنزل هذه السطور: «دخل الصديق المهندس وخلفه رجال الإسعاف يحملون الجثمان، وساروا به فى ضوء القمر فوق ذلك الرصيف الطويل بخطى رتيبة وئيدة ذات إيقاع جليل مهيب، على ذلك البلاط، فى صمت الليل الرهيب، فخُيل إلىّ أنها جثة هاملت فوق أكتاف الأبطال»..

ويلتقط معنى الوطنية من الأسطى المطربة الشعبية «العالمة من عوالم الفرح» عندما تحرك بها القطار مع زميلاتها بعيدًا عن مصر (يقصد القاهرة) لإحياء فرح فى الإسكندرية، فلم تطق هذا البعد عن مصر يومًا أو بعض يوم، فصاحت: يا حبيبتى يا مصر..

وباختصار اندمج توفيق الحكيم اندماجًا تامًا فى عالم «التشخيص» والفن لدرجة أنه كتب بعض الأغانى الشعبية، وهو لم يكن يومًا شاعرًا، نزولاً عند طلب داود حسنى. ومما كتبه أغنية يقول مطلعها:

حلو القوام ينسى قوام والحب عنده ما لوش دوام